التنافس الدولي على منطقة آسيا الوسطى الاستراتيجية

الدكتور جعفر بهلول جابر الحسيناوي*
باحث في العلاقات الاقتصادية الدولية من العراق

* دائرة العلاقات الاقتصادية الخارجية
وزارة التجارة العراقية
jaafarbjaber@gmail.com

الملخص:

تتميز منطقة اسيا الوسطى بموقع استراتيجي مهم على المستوى الدولي والاقليمي على حد سواء, وقد زاد من اهميتها الثروات المعدنية الهائلة التي تمتلكها واهمها النفط والغاز الطبيعي فضلاً عن مواد مهمة اخرى, اذ تسعى الولايات المتحدة إلى تعزيز هيمنتها على العالم, وتحييد القوى الكبرى المنافسة لها من خلال محاولة السيطرة على تلك المنطقة القريبة من الصين وروسيا, كما تعد روسيا المنطقة مجالها الحيوي ومنطقة نفوذها الذي ورثته عن الاتحاد السوفيتي. اما الصين فتعد تلك المنطقة غاية في الاهمية على المستوى الأمني والاقتصادي، وتعدها الخاصرة الغربية لها، وان اي اضطرابات تحصل فيها تنعكس سلباً على امنها واستقرارها, اما تركيا وايران فتحاولان استغلال التقارب الثقافي والديني لتحقيق اهدافهما الاستراتيجية في المنطقة, وبذلك فان منطقة اسيا الوسطى تشكل اهمية استراتيجية كبرى لجميع القوى الدولية والاقليمية.

الكلمات المفتاحية: الصين، روسيا، الاتحاد الاوربي، تركيا، ايران.

The International Competition for the Strategic Region of Central Asia

Dr. Jaafar Bahlool Jabir Al-Hasnawi
Researcher in International Economic Relations, from Iraq

Abstract:

The Central Asian region is characterized by an important strategic position at both the international and regional levels, and has increased its importance the enormous mineral resources possessed by, and the the most important

are oil and natural gas in addition to others, as the United States seeks to strengthen its dominance over the world and neutralize the major rival powers through Control of that region close to China and Russia, as Russia considers the region it's vital domain and the area of influence inherited from the Soviet Union, and China is consider that region very important on the security and economic level, and considers it as the western flank for it, and any disturbances in it reflect negatively to it`s security and stability. Turkey and Iran are trying to exploit cultural and religious rapprochement to achieve their strategic galls in the region, so the Central Asian region is of great strategic importance to all international and regional powers.

Key words: China, Russia, EU, Turkey, Iran**.**

المقدمــة:

تتميز منطقة اسيا الوسطى المتكونة من خمس دول هي (اوزبكستان، كازاخستان، قيرغيزستان، طاجكستان، وتركمانستان) حصلت على استقلالها جميعها من الاتحاد السوفيتي مطلع تسعينيات القرن الماضي، بالضعف الديموغرافي قياسا بالدول المحيطة بها، إذ يبلغ تعدادها السكاني مجتمعةً (73.917.700) مليون نسمة، وتعد اوزبكستان اكبرها من حيث تعداد السكان إذ يبلغ تعداد سكانها (33.861.023) مليون نسمة وتركمانستان الاقل تعدادً من بين تلك الدول إذ يبلغ تعداد سكانها بحدود (5.942.089) مليون نسمة، واذا ما قارنا تعداد هذه الدول جميعاً بعدد نفوس الدول المجاورة لها فان المنطقة تبدو ضعيفة جدا على المستوى الديموغرافي، مع هذا الكم الهائل من السكان[1]، من ناحية اخرى تتمتع منطقة اسيا الوسطى بموقعها الجغرافي الاستراتيجي المميز، فهي تتوسط ما بين الشرق والغرب وطرق التبادل التجاري بين اسيا واوربا، كما تقع في قلب منطقة اوراسيا عند نقطة التقاء الحضارات القديمة، ومما زاد من اهميتها وفرت الموارد الطبيعية فيها، كالنفط والغاز الطبيعي والذهب والنحاس والزنك والفحم الطبيعي والفضة كما يعد انتاجها غزير بالحرير الطبيعي والقطن والفراء.

(1) عبد القادر دندن، حرب الانابيب في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، الصراع الروسي- الصيني- الامريكي، مجلة قضايا آسيوية، العدد الثالث، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2020، ص 6

المحور الاول- الثروات البشرية والطبيعية لمنطقة اسيا الوسطى:

تسمى منطقة اسيا الوسطى قديماً بتركستان الغربية، اما منطقة تركستان الشرقية فهي المنطقة التي تقع غرب الصين وتسكنها الاقلية الأغورية المسلمة، كما اطلق عليها العرب بعد الفتوحات الاسلامية بلاد ما وراء النهر، وتتميز جمهوريات اسيا الوسطى الخمسة بالتجانس من الناحية العرقية واللغوية إذ ينحدر غالبية سكانها من الشعوب

التركية، وهي شعوب أوراسياوية تقيم في شمال ووسط وغرب أوراسيا، ويتحدثون مجموعة لغات تنتمي لعائلة اللغات التركية او تستخدم لغة قريبة من اللغة التركية باستثناء طاجيكستان التي تستخدم اللغة الفارسية، كما يدين اغلب سكانها بالديانة الاسلامية او المسيحية الأرثدوكسية، كما ان تراثها يطغي عليه الطابع الاسلامي، ونظراً لأهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي تعد ذات أولوية في المخططات الاستراتيجية للقوى الكبرى، وذلك لمجموعة من الاسباب منها[2]:

1 - ان المنطقة تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي مهم جداً.

2 - فيها من الثروات الهائلة ما يجعلها هدفاً لمحاور الصراع ممتد حول الموارد الاقتصادية.

3 - تمر شبكة من خطوط نقل الطاقة من النفط والغاز في اراضيها، إذ تعد القوى الكبرى السيطرة على شبكة خطوط نقل النفط اهم من السيطرة على حقول إنتاجه في المنطقة. والملاحظ أن هذه المحاور تتداخل بشكل واضح في سياق صراع القوى الكبرى المتمثّلة بالصين، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي فضلا عن ذلك الهند وايران وتركيا.[3]

إذ تعد القوى الكبرى السيطرة على شبكة خطوط نقل النفط اهم من السيطرة على حقول إنتاجه

يمثل حجم الموارد الطبيعية في منطقة اسيا الوسطى نقطة الانطلاق للهيمنة عليها، إذ تتمتع بحجم موارد طبيعية كبيرة فيها متمثلة بالمعادن والنفط والغاز الطبيعي والفحم والنحاس والذهب واليورانيوم وخام الحديد والنيكل والرصاص، ويعد النفط والغاز الطبيعي اهمها، إذ يصل حجم الاحتياطي من الغاز الطبيعي فيها الى ما نسبته (34%) من الاحتياطي الاجمالي العالمي، و تتمركز هذه الاحتياطيات في كل من تركمانستان وكازاخستان وازبكستان، كما تحتوي المنطقة على ما نسبته (27%) من الاحتياطي النفطي من اجمالي الاحتياطي العالمي، وتقع اغلب هذه الاحتياطيات من الموارد الطبيعية في جمهورية كازخستان، كما تمتلك جمهورية طاجيكستان منابع غزيرة للمياه، إذ تمتلك ما مقداره (60%) من منابع المياه في منطقة اسيا الوسطى الذي يمكن استخدامه في توليد الطاقة الكهربائية، هذا بالإضافة الى تلك الثروة الطبيعية فهناك ثروات زراعية مثل زراعة القطن ومحاصيل مهمة اخرى.[4]

المحور الثاني- الأهمية الامنية والاستراتيجية والاقتصادية لآسيا الوسطى:

لقد كونت نظرية ماكندر خلاصة عامة لما يحيط بعلم الجيوبولتكس إذ جاء فيها ان السيطرة على منطقة السويداء (Heard Land) تفضي الى حكم العالم لان القارات

(2) يبلغ تعداد الدول المحيطة بمنطقة اسيا الوسطى مجتمعةً (3.267.611.626) مليار نسمة إذ يبلغ عدد سكان الصين (1.400.130.000) والهند (1.351.310.000) مليار نسمة وباكستان (204.964.000) مليون نسمة وروسيا (146.793.744) وايران (82.410.000) وتركيا (82.003.882) مليون نسمة.

3) ريا خوري، اسيا الوسطى في صراع القوى العظمى، 2016، على الرابط الالكتروني، https://www.geopolitica.ru/ar/article/asy_lwst_fy_sr_lqw_lzm

(4) وهيبة ايمان عبد الله، استراتيجية روسيا في السيطرة على اسيا الوسطى ومستقبل رابطة الدول المستقلة – CIS ـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2018، ص 25

الثلاثة (اسيا و فريقيا واوربا) تكون بمجموعها قارة واحدة عظمى هي جزيرة العالم وعلى هذا الاساس، استند ماكندر[5] في نظريته على اسس ثلاثة هي:[6]

1 - من يحكم شرق اوربا يتسلط على منطقة السويداء.

2 - من يحكم منطقة السويداء يتسلط على جزيرة العالم.

3 - من يحكم جزيرة العالم يتسلط على العالم كله.

لقد جرى الاتفاق بشكل عام بين الباحثين والمهتمين ان منطقة السويداء هي منطقة اوراسيا التي تمثل منطقة اسيا الوسطى قلب اوراسيا.

تقع آسيا الوسطى في الرقعة الممتدة من ساحل بحر قزوين الشرقي حتى حدود جمهورية منغوليا الواقعة بين الصين وروسيا، وفي المنطقة الممتدة من شمال أفغانستان وحتى حدود روسيا الجنوبية، ويضم الإقليم السياسي الخاص بمنطقة آسيا الوسطى خمس جمهوريات استقلت حديثاً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1990 هي: (كازاخستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان، قيرغيزستان)، وتشكل هذه المنطقة اهمية جيو استراتيجية واقتصادية مهمة لدول كبرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوربي والصين وروسيا والهند، وبنفس الاهمية لدول إقليمية طامحةً اخرى تعد نفسها لاعباً اساسياً في المنطقة كإيران وتركيا. فضلا عن ذلك، فقد دخلت اسرائيل لاعباً مهماً في المنطقة للبحث عن المغانم فيها.

خارطة (1): منطقة اسيا الوسطى

المصدر: حنان ابو سكين، بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في اسيا الوسطى، المركز العربي للدراسات والبحوث، 2014 http://www.acrseg.org/

(5) هالفرد ماكندر (Helford Mackinder) جغرافي بريطاني صاحب نظرية قلب العالم ويعد احد مؤسسي علم (الجيوبولتك) وهو العلم الذي يفسر العلاقات الدولية على اساس الموقع الجغرافي، وللمزيد ينظر: كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الاستراتيجية. جامعة بغداد- كلية العلوم السياسية، بغداد 1988، ص 47.

(6) حميد حمد السعدون، نظرية ماكندر قراءة جديدة في ظل الهيمنة الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد 28، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2005، ص 89

ومن الجدير بالذكر فقد تميزت المدة التي تلت تفكك الاتحاد السوفيتي بتزايد النفوذ الامريكي في منطقة اسيا الوسطى من خلال الاسراع في اقامة علاقات دبلوماسية مع دول المنطقة قابلها تراجع ملحوظ للنفوذ الروسي نتيجة للتدهور الاقتصادي في اعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي، وبعد تعافي الاقتصاد الروسي انطلقت في ترميم علاقتها مع تلك الدول اعتمادا على العلاقات التاريخية معها، فضلاً عن ذلك وجود (25) مليون روسي موزعين بين تلك الدول، ووجود كثير من الناطقين باللغة الروسية في تلك الجمهوريات حيث استغلتهم روسيا كهمزة وصل بينها وبين جمهوريات اسيا الوسطى الخمس.

ومن هنا تمثّل التفاعلات الجيو- سياسية والجيو استراتيجية المحدّد الرئيس لأمن اسيا الوسطى، لأنّ الأطراف الخارجية تحاول استخدم أراضيها كمسرح للصراع على النفوذ السياسي، ونظراً للأهمية المتزايدة لهذه المنطقة في المدة التي تلت الحرب الباردة وانفصال تلك الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي، حدث تغيير في حقائق هذه المنطقة منها[7]:

1 - أنّ هذا التغيير لم يطرأ على اللعبة الدولية الأساسية فحسب، وإنما طال أساليب ممارستها، ومع أن التأثير المباشر لهذا التحوّل الطفيف لم يتّضح بعد، إلا أنّ بناء هيكلية اقتصادية هشة فيها يُعزّز الأخطار المباشرة التي تهدّد الاستقرار الاقليمي في المنطقة والعالم ويجعلها منطقة هشة وعرضة لكثير من التدخلات الاقليمية والدولية[8].

2 - لا يمكن إنكار حقيقة ظهور مصالح تجارية مشروعة وفرص استثمارية حقيقية تسهم في خلق شكل من أشكال الاستقرار الاقتصادي واسع النطاق، وهو ما حدث بالفعل في المنطقة منذ استقلال جمهورياتها عن الاتحاد السوفياتي، لكن في الوقت نفسه، أُنشأت هذه البيئة التجارية على أسس هشة، ينخرها الفساد وتزعزعها المصالح السياسية المتنافسة والاضطرابات الداخلية وإحباط الشعوب وانتشار الجريمة المنظمة، ومن ناحية اخرى يحرم عموم الشعب من ثروتها الوطنية بينما توزع هذه الثروات على ذوي النفوذ دون وجه حق، بينما يعاني اغلبية الشعب الفقر الموروث من حقبة الاتحاد السوفيتي، ويستمرّ تكديس رؤوس الأموال في البنوك الأجنبية من قبل المتنفذين في السلطة، وهذا ما يسهّل في الغالب تغلغل القوى الخارجية لتعزيز منافعها بطرق غير مشروعة.

ظهور مصالح تجارية مشروعة وفرص استثمارية حقيقية تسهم في خلق شكل من أشكال الاستقرار الاقتصادي

(7) حنان ابو سكين، بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في اسيا الوسطى، المركز العربي للدراسات والبحوث، 2014، http://www.acrseg.org/

(8) المصدر نفسه.

3 - أما المجتمع المدني الذي يتوق الى مزيد من الحريات فإنه يشعر بالإحباط مع فرض قيود صارمة عليه بسبب السياسات المتناقضة التي تتّبعها الأطراف السياسية الداخلية المشبعة فكريا من حقبة الاتحاد السوفيتي السابقة[9].

(9)عبد القادر دندن، مصدر سبق ذكره، ص 6

4 - ان استمر التنافس بين الولايات المتّحدة الامريكية وروسيا والصين في اللعبة الجيو اقتصادية والجيو استراتيجية في المنطقة، فإنّه سيبقى شيء ما يشبه الاستقرار الامني الحذر فيها، الأمر الذي سيصب في مصالح هذه الدول على المستوى القريب، لكنْ يجب على السلطات السياسية القابضة على السلطة في المنطقة ان تعي ان حالة عدم استقرار اي دولة في المنطقة ينعكس سلباً على استقرار جميع تلك الدول، وأنْ التساؤل هنا حول مدى إمكانية الاستمرار في مثل هذه السياسة، وأنْ تعترف أيضاً بأنّ المساس بالمصالح الاقليمية لأي واحدة من هذه الدول- ولو بشكل طفيف- قد يُدخل المنطقة في دوامة من حالة عدم الاستقرار الامني تتحمل جميع تلك الدول انعكاساتها.

محاولة الولايات المتحدة التغلغل فيها يمثّل عاملاً هاماً في إضعاف الدول المناوئة لها

5 - سوف تبقى هذه المنطقة مفتاحاً مهماً، وموطئ قدم استراتيجي لعدد من القوى الدولية الكبرى والإقليمية الطامحة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، لاسيما أن عدداً من الدول المتاخمة للمنطقة تمثّل خصوماً أو منافسين للولايات المتحدة الامريكية، يتعيّن وفقاً لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي أصدرتها الولايات المتحدة عام 1992 القضاء عليها[10]، أو على الأقل إضعافها حتى لا تمثّل تحدياً لهيمنتها وسياستها في المنطقة، وفي مقدمتها الصين، وروسيا، وإيران، ومن ثم فإن محاولة الولايات المتحدة التغلغل فيها يمثّل عاملاً هاماً في إضعاف الدول المناوئة لها، ومحاولة اختراقها جغرافياً، وهذا ربما يدفع بحدوث مواجهة مباشرة بين القوى المتنافسة على المنطقة.[11]

(10) محمد شاكر، العلاقات الايرانية- الطاجيكية اشكالية البيئة الداخلية والخارجية، مجلة قضايا ايرانية، ملفات اقليمية، العدد5، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، 2018، ص53.

(11) المصدر نفسه، ص 57.

6 - ان الأهمية الجيو سياسية للمنطقة قد ازدادت بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، فقد احتلت الولايات المتحدة الأمريكية أفغانستان، تبعه احتلال العراق، إذ أصبحت الولايات المتحدة في حاجة ماسة لهذه الدول، بالنظر إلى جوارها المباشر مع أفغانستان، ولتأمين تمركزها في المنطقة وتوفير الإمدادات اللوجستية للقوات الأمريكية، وإحكام السيطرة والخناق على أفغانستان عبر حدودها مع هذه الدول.

المحور الثالث- التنافس الدولي في آسيا الوسطى على مستوى القوى الكبرى:

تكمن أهمية منطقة اسيا الوسطى باعتبارها تمثل قلب العالم حسب نظرية ماكندر سابقة الذكر كما انها المتغير الجيو سياسي الذي يمثل مفتاح السيطرة على العالم، فالتمركز في منطقة اسيا الوسطى يتيح للقوى المسيطرة الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال، والعمق الحيوي الصيني باتجاه الجنوب الشرقي، علاوة على العمق الحيوي لشبه القارة الهندية باتجاه الجنوب والعمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي، والعمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغرب، فضلا عن ذلك أن السيطرة على موارد المنطقة تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز عبر السيطرة على اتجاه انابيب نقلها فضلاً عن ذلك حركة المعادن الاخرى والموارد الزراعية والمنتوجات الحيوانية والسلع الاخرى إلى الدول القريبة كروسيا والصين ودول شبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوربي، والسيطرة على ممرات اسيا الوسطى تتيح السيطرة على الطرق البرية والجوية التي تربط بين دول شبه القارة الهندية وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات المهمة التي تمكن من يسيطر عليها التأثير المباشر على العلاقات التي تربط دول المنطقة والسيطرة على احتياطيات نفطية كبيرة تقترب في كمياتها من منطقة الخليج العربي التي يغلب عليها طابع التوتر وعدم الاستقرار الامني.[12]

السيطرة على ممرات اسيا الوسطى تتيح السيطرة على الطرق البرية والجوية

اولا- روسيا: تعد اسيا الوسطى المجال الحيوي لروسيا والمحور الأساس لنفوذها، وطالما تدعي روسيا الدفاع عن مصالح المواطنين الروس المنتشرين في دول اسيا الوسطى، إذ يمثلون نسبة يُعتد بها من سكان هذه الدول مثل كازاخستان إذ يمثل الروس 23,7 % من سكانها، وفي كل من قيرغيزستان وتركمانستان يمثلون 12,5 % من سكانها، وفي أوزباكستان يمثلون 5,5 %, ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي وروسيا تسعى بشتى الطرق لاستعادت مركزها كقوة عظمى في العالم، وتستهدف السياسة الروسية الخارجية بشكل أساس جمهوريات اسيا الوسطى، وتعد روسيا امن حدود تلك الدول من امن حدودها، ولاسيما من جهة جمهورية طاجكستان التي يتواجد فيها أعداد كبيرة من القوات الروسية المجاورة لحدود أفغانستان التي تتواجد فيها القوات الامريكية على الطرف الاخر، فضلاً عن ذلك عملت روسيا إلى تضخيم الأخطار التي تواجه أمن دول المنطقة من «الجماعات الإرهابية وعصابات الجريمة المنظمة العابرة للحدود وتجارة المخدرات»، واحتمال نشوب حروب وصراعات

(12) ضرب أي قوة تعارض الهيمنة الأمريكية أو المصالح الاقتصادية في أي مكان في العالم، وجاء في تقرير مساعد وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفويتز Paul Wolfowitz) في 18/ شباط/1991، «أن هدفنا الأول هو المعرفة المسبقة لعودة عدو جديد سواء على أراضي الاتحاد السوفيتي السابق أم في مكان أخر والذي يمكن أن يشكل تهديدا شبيها للتهديد الذي كان يشكله الاتحاد السوفيتي، وهو العمل الغالب الذي تتضمنه استراتيجية الدفاع الإقليمي ويفرضه علينا أن نعرف مسبقا بكل القوى التي يمكن لها أن تعترض هيمنتنا لمنطقة أو لمصادر ثروة يمكن أذا سيطرنا عليها أن تجعلنا قوة شاملة، وهذه المناطق تتضمن أوربا والشرق الأقصى وأراضي الاتحاد السوفيتي السابق وجنوب شرقي أسيا. وللمزيد ينظر: جعفر بهلول الحسيناوي، اميركا بين القطبية الصلبة والتحديات، مطبعة السيماء، بغداد 2019، ص60

على السلطة في بعض دولها، كما تحذر من دول أجنبية قد تتدخل لدعم التطرف وزعزعة امن المنطقة بالكامل، وتستخدم روسيا هذه الأوراق لزيادة نفوذها ووجودها العسكري هناك[13].

(13) جعفر بهلول الحسيناوي، اميركا ما بين القوة الصلبة والتحديات، مطبعة السيماء، بغداد 2019، ص 45

جدول (1) التكوين السياسي والاجتماعي لدول اسيا الوسطى وروسيا

الدولة	العاصمة	المساحة/الف كم^2	عدد السكان/ مليون نسمة	اللغة الرسمية	الديانة
اوزبكستان	طشقند	447.4	33.861.023	الاوزبكية والروسية	الاسلام والمسيحي أرثوذكس وديانات اخرى
كازخستان	استانا	2.724.900	18.598.088	الكازخية والروسية	الاسلام والمسيحي أرثوذكس وديانات اخرى
تركمانستان	عشق اباد	488.1	5.942.089	تركمانية والروسية	الاسلام والمسيحي أرثوذكس وديانات اخرى
قيرغيزستان	بشكيك	199.9	6.389.500	قيرقيزية والروسية	الاسلام والمسيحي أرثوذكس وديانات اخرى
طاجكستان	دوشنبه	143.1	9.127.000	طاجيكية والروسية	الاسلام والمسيحي أرثوذكس وديانات اخرى
روسيا	موسكو	17.098.242	148.689.000	الروسية ولغات اخرى	المسيحي أرثوذكس والاسلام وديانات اخرى

المصدر: الجدول من اعداد الباحث اعتمادا على معلومات من شبكة الانترنيت

من خلال ما ورد في الجدول اعلاه نلاحظ وجود مشتركات بين هذه الدول ذاتها وبينها وبين روسيا من جهة اخرى. وقد أدت مجموعة هذه العوامل المشتركة إلى تحسين موقع روسيا في المنطقة مقابل جيرانها، وبعد ما تعافت من الأزمة الاقتصادية الخانقة التي ورثتها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وزادت الفوائض المالية لديها نتيجة الزيادة المستمرة في أسعار النفط، عملت على تأمين الجمهوريات السوفيتية السابقة كسوق لنشاط قطاع الاستثمار والأعمال الروسي، فضلاً عن ذلك يتوجب

عليها الحفاظ على هذه الدول من توسيع التحالفات العسكرية والسياسية، مثل حلف شمال الاطلسي (الناتو) واضعةً التجربة الجورجية نصب اعينها، وكان لا بد لروسيا أن تكون قادرة على التوسط وإدارة النزاعات وتجنب الازمات وخفض حالات التوتر بين جيرانها من تلك الدول، وأن تمارس القيادة السياسية في إطار الكومنولث، فقد شهدت قرغيزستان صراعاً بينها وبين الولايات المتحدة ادى الى غلق القاعدة الامريكية فيها عام 2010، في اعقاب انضمام جمهورية قرغيزستان الى منظمة شنغهاي للتعاون بينما شددت روسيا من قبضتها على طاجكستان المجاورة لأفغانستان، ودعمت علاقاتها مع كازخستان وتركمانستان لكن تأرجحت علاقاتها مع اوزبكستان[14]، وفي ظل الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان بسبب (الحرب على الإرهاب)، أدركت روسيا أن الولايات المتحدة الامريكية تريد تقوية وجودها في أفغانستان لتتحول إلى منصة عمل باتجاه جمهوريات اسيا الوسطى، وصولاً إلى حوض بحر قزوين، ومن أجل السيطرة على الكميات الكبيرة من النفط والغاز والتحكم في امداداتها في تلك المناطق، لذا بادرت روسيا باتخاذ خطوات من شأنها تقوية مواقعها في المنطقة، من خلال ربط جمهوريات تلك المنطقة باتفاقيات والتزامات تصب في خدمة مصالح روسيا ومصالح هذه الجمهوريات في آن واحد[15].

ويمكن تقييم الجهود الروسية لتحقيق مصالحها في منطقة اسيا الوسطى على المستوى السياسي والأمني والاقتصادي والجغرافي والثقافي[16]:

1 - فعلى المستوى السياسي والأمني تعمل روسيا على إنشاء نظام أمني في المنطقة من خلال «منظمة معاهدة الأمن الجماعي» لحماية روسيا من التحديات القادمة من جميع الاتجاهات، ويضم ذلك النظام (أرمينيا، وبيلاروسيا، وبلدان اسيا الوسطى كازاخستان، قرغيزستان، طاجيكستان، وأوزبكستان)، وهذه المعاهدة تسمح بالتشاور السياسي وقدراً ما من التنسيق بين المؤسسات الدفاعية والأمنية للدول الأعضاء، وتستغل روسيا هذا التحالف الأمني لتحقيق نوع من التضامن الدبلوماسي بينها وبين الأعضاء انفسهم، أي حلفائها، فمثلا تصدر الدول الأعضاء في هذا التحالف بيانات مشتركة خلال اجتماعات منظمة الأمن والتعاون في أوربا.

2 - تحاول روسيا إقامة علاقات رسمية بين حلف شمل الاطلسي الناتو ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، وهو ما يعد اعترافاً بهيمنتها عسكرياً وسياسياً على المنطقة[17].

(14) محرم أكشي، تركيا في آسيا الوسطى والقوقاز تأمين لجسور الطاقة، 6 اب 2009، على الرابط، http://www.aljazeera.net/NR/48D6__exeres/DE6D722D_8175A72F_0477CB0A2C6A.htm

(15) حميد شهاب احمد، التنافس الاقليمي والدولي في منطقة الجمهوريات الاسلامية لأسيا الوسطى، مجلة دراسات دولية، العدد 28، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2005، ص 13

(16) قاسم دحمان، السياسة الخارجية الروسية في اسيا الوسطى والقوقاز، أي- كتاب، لندن، 2016، ص 113

(17) حنان ابو سكين، بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في اسيا الوسطى، المركز العربي للدراسات والبحوث، 2014، http://www.acrseg.org/

3 - إن المصالح العسكرية لروسيا في هذه المنطقة تتطلب بالأساس منع هذه الدول من دخول حلف شمال الاطلسي الناتو أَو من استضافة قواعد عسكرية أمريكية جديدة، إذ يمكن الجزم بأن السبب وراء الحرب على جورجيا عام 2008 كان رغبتها في الانضمام لحلف شمال الاطلسي.

4 - تحاول روسيا ايضاً وقف انتشار التغيرات الديمقراطية في كومنولث الدول المستقلة وابقائها على وضعها الحالي، فما تخشاه روسيا ليس الديمقراطية وإنما لقطع الطريق على الولايات المتحدة الأمريكية لنشرها وعلى تفشي الرؤى الامريكية فيها.

ومن أهم القواعد العسكرية الروسية في المنطقة قاعدة دوشنبه في طاجيكستان، وقاعدة كيولياب، وقد وقعت روسيا مع قيرغيزستان اتفاقية تسمح الأخيرة بموجبها للطائرات الحربية الروسية بالهبوط في قاعدة (كانت) الجوية في منطقة بشكيك عاصمة قيرغيزستان وتعتبر أول قاعدة جوية روسية خالصة في المنطقة، إذ تحتوي هذه القاعدة على وجود عسكري بري وجوي روسي مكثف، هذا إلى جانب حاميات عسكرية روسية في كازاخستان وطاجيكستان. وتؤكد روسيا أن القواعد العسكرية الروسية في منطقة اسيا الوسطى والقوقاز هدفها تأمين الحدود الجنوبية لروسيا وجيرانها. وأبرز الترتيبات الأمنية التي اتخذتها دول اسيا الوسطى مع روسيا، والدخول في منظمة شنغهاي للتعاون، ومجموعة جوام، وبرنامج الناتو الشراكة من أجل السلام، ومبادرة التفاعل وإجراءات بناء الثقة في اسيا (السيكا)، ومن المؤكد أنه ستظل جيوش دول اسيا الوسطى الضعيفة في التدريب والتسليح بحاجة ملحة للدعم الروسي العسكري بالنظر لاعتمادها على الترسانة الحربية الروسية في الإمداد بقطع الغيار والطائرات والمساعدات الخدمية الأخرى.

5 - وعلى المستوى الاقتصادي فقد أسست كل من روسيا وكازاخستان وبيلاروسيا وطاجيكستان وأوزبكستان منظمة (الفضاء اليورو- آسيوي الموحد) عام 2000، بهدف توطيد العلاقات الاقتصادية بين الدول المشاركة وصولاً إلى تأسيس اتحاد جمركي فيما بينها، إلا أن الاتحاد الجمركي الذي قام على أساس هذه المنظمة عام 2006 لم يضم سوى جمهوريات ثلاث هي روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان، فالحكومات في أوزبكستان وطاجكستان وتركمانستان تلتزم الحذر فيما يخص المشروع التكاملي الذي تتزعمه روسيا، وذلك لوجود هواجس خوف من التفريط بجزء من السيادة الوطنية لصالح روسيا والوقوع

تحت تأثيرها على غرار ما كان عليه ابان التجربة السابقة مع الاتحاد السوفيتي.

6 - اما على المستوى المالي والنقدي تحاول القيادة الروسية تأسيس بنوك مشتركة، ولديها استثمارات مالية عديدة مع هذه الدول، وتروج لفكرة اعتماد الروبل الروسي كعملة حفظ الاحتياطات المالية في المنطقة، فضلاً عن ذلك فأن لشركات النفط الروسية مثل لوك أوبل امتيازات واسعة في مشروعات التنقيب عن النفط، وتقترح روسيا عدداً من الخطوط التي تنقل النفط عبر أراضيها في محاولة للسيطرة على امدادات الطاقة ومنع وصول الولايات المتحدة اليها، وبهذا الخصوص فقد أبرمت روسيا اتفاقات مع كل من تركمانستان وكازاخستان لإنشاء خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي موازي لبحر قزوين لنقل غاز تركمانستان إلى الأسواق الأوربية الغربية على وجه الخصوص، كما بدأت روسيا في مد خط أنابيب ساوث ستريم في كانون اول عام 2012 وتأمل في البدء في نقل الغاز لأروبا قبل عام 2019، وهو الموعد المقرر للبدء في تدفق الغاز من أذربيجان إلى الاتحاد الأوربي الذي يعد مشروعاً منافساً لها وسيشق مشروع ساوث ستريم الذي تقوده شركة غاز بروم البحر الأسود وسيتبع بعد ذلك خط نابوكو ويست[18].

(18) قاسم دحمان، مصدر سبق ذكره، ص112

7 - وعلى المستوى الثقافي، فبالرغم من ارتفاع منزلة اللغات الوطنية في الدول المستقلة حديثاً من الاتحاد السوفيتي واتساع انتشار اللغة الإنجليزية فيها، لا تزال اللغة الروسية ذات سطوة وانتشار واسع في الجمهوريات السوفيتية المستقلة، إذ تمثل اللغة الروسية اللغة الثانية بين النخب في دول جنوب القوقاز واسيا الوسطى على حداً سواء، ولا تزال القنوات الروسية متاحة عبر الأقمار الصناعية والتأثير الثقافي الروسي واضحاً في تلك الدول إذ مازالت الأعمال الفنية التليفزيونية والسينمائية الروسية تحظى بشعبية واسعة، كما تسيطر الموسيقي الشعبية الروسية على البرامج الإذاعية في العديد من قنوات دول اسيا الوسطى.

من ناحية اخرى تسعى الحكومة الروسية بعد أزمة أوكرانيا والقرم بالتحرك على زعماء جمهوريات اسيا الوسطى في مسعى لتحقيق اهدفها بإقامة اتحاد أورو اسيوي من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في إطار تكامل مبني على أسس جديدة منها[19]:

(19) المصدر نفسه

اولاً- تحرص روسيا على منع قيام أية انقسامات عرقية في اسيا الوسطى خوفاً من

انتقال عدواها الى روسيا نفسها، وتسرب التطرف إلى جمهوريات أخرى مسلمة في المنطقة، ومن ثم إلى القوقاز.

ثانياً- ترى روسيا أن من مصلحتها التزام جمهوريات اسيا الوسطى بمعاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية وعدم انتقال الخبرة والتكنولوجيا النووية الى دول معادية.

ثانياً- الصين: تعد الصين من أوائل الدول التي عملت على الاعتراف بجمهوريات اسيا الوسطى بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي، وأقامت معها علاقات دبلوماسية قوية وتبادلت معها الزيارات الرسمية، وبدت ملامح السياسة الصينية الجديدة تجاه هذه المنطقة اكثر وضوحاً عام 1996، حينما شعرت بالتغلغل الامريكي في المنطقة، فقد تحركت الصين لإيجاد إطار رسمي يربطها بالمنطقة، فجاءت فكرة منظمة شنغهاي للتعاون وانضمام دول اسيا الوسطى اليها لتعزيز التعاون السياسي والاقتصادي والامني معها، بالتعاون مع روسيا وكان التعاون في بداية الامر مع كل من كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان تم على اثره تشكيل خماسي شنغهاي، وعلى اثر ظهور الجماعات الاصولية الاسلامية المتطرفة والحركات الارهابية في اوزبكستان انضمت الى مجموعة خماسي شنغهاي عام 2001 لتصبح بذلك منظمة شنغهاي للتعاون، وكان واضحاً أن الصين تستغل نفوذ روسيا للتحرك نحو اسيا الوسطى في حين كانت روسيا تبحث عن حليف قوياً لها في منطقة اسيا الوسطى لوقف الزحف الأوربي الأمريكي نحو ما تعده مناطق نفوذها، وهذا يعني وجدت ضالتها في الصين وذلك لوجود مصالح مشتركة بينهما في المنطقة[20].

(20) قاسم دحمان، مصدر سبق ذكره، ص121

وفي ظل حاجة الصين الملحة للطاقة بشكل متزايد وارتفاع أسعار النفط والغاز فضلا عن تأزم الوضع الامني في منطقة الخليج العربي نتيجة لاحتلال العراق للكويت عام 1990 الذي نتج عنه حرب بين الولايات المتحدة الامريكية والعراق عام 1991، كان على الصين البحث عن بدائل رخيصة وأكثر أماناً لتأمين احتياجاتها من الطاقة، ومن هنا برزت أمامها مصادر الطاقة في اسيا الوسطى كبديل عن نفط الخليج العربي التي تتميز بالقرب منها مما يوفر لها سرعة التجهيز وانخفاض في اجور النقل وبهذا يتحقق لها الحلم المرتقب، غير أن الأمر يحتاج لمزيد من التنازلات والمقايضات مع روسيا التي تتخوف من تمدد الصين نحو منطقة اسيا الوسطى وتزاحمها في السيطرة على خطوط نقل النفط والغاز، وفي الوقت نفسه تشكل اسيا الوسطى سوقاً استهلاكياً رائجاً للسلع الصينية، فضلاً عن ذلك فان معظم الواردات الصينية من دول اسيا الوسطى هي المواد الخام التي تفتقر إليها الصين، وتصدر الصين

تشكل اسيا الوسطى سوقاً استهلاكياً رائجاً للسلع الصينية

كذلك السلع الاستهلاكية لهذه الدول، وقد لعبت الاستثمارات الصينية في اسيا الوسطى دوراً فعالاً في حل ما تعانيه تلك الدول من نقص رؤوس الأموال، اضافة الى ذلك تشكل منطقة اسيا الوسطى معبراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه نحو أوربا ومنطقة غرب اسيا التي تمثل شريان مواصلاتها في مبادرة الحزام والطريق الصينية، وخلافاً لأهداف الدول الأخرى المتنافسة في اسيا الوسطى، فإن الصين لا تسعى إلى الوجود العسكري فيها، وإنما اعتبارها مناطق نفوذ لها بل تأمل في التعاون الاقتصادي واستتباب الاستقرار في هذه الدول بما ينعكس على الأمن القومي الصيني، وفي عام 1999 وكبادرة حسن نية أبرمت الصين سلسلة من الاتفاقيات لإعادة رسم الحدود المشتركة مع دول المنطقة في اطار منظمة شنغهاي للتعاون، فضلاً عن ذلك فقد احتل اقليم اسيا الوسطى اهتماماً كبيراً من الجانب الصيني في اطار مشروع الصين الحزام والطريق، إذ يتضمن الحزام الاقتصادي للطريق عدداً من الممرات الاقتصادية المهمة وكما يلي[21]:

(21) حميد شهاب احمد، مصدر سبق ذكره، ص 16

اولاً- ربط الصين بالقارة الاوربية مروراً بأسيا الوسطى الممر الاقتصادي (الصين- منغوليا- روسيا).

ثانيا- ربط الصين بمنطقة الخليج العربي والبحر المتوسط مروراً بأسيا الوسطى وغربي اسيا.

تعد الصين ثاني أكبر شريك تجاري مع كازاخستان وقيرغيزستان

ومن الملاحظ ايضاً ان كلا الطريقين يمران من منطقة اسيا الوسطى ومن هنا تشكل هذه المنطقة اهمية كبرى للصين.

كما تعد الصين ثاني أكبر شريك تجاري مع كازاخستان وقيرغيزستان، وتزخر جمهوريات اسيا الوسطى حاليا بمئات المشاريع الكبيرة والصغيرة التي ينفذها الصينيون في مجالات متعددة أهمها: التنقيب عن الموارد الطبيعية، وبناء خطوط أنابيب نقل الطاقة، وبناء الطرق وسكك الحديد في اطار اعادة احياء طريق الحرير التاريخي ضمن مبادرة الحزام والطريق الذي اعلنته الصين، كما توجد اتفاقيات مبدئية مع كل من أوزبكستان وإيران حول مشاريع نقل الغاز إلى الصين أو حتى الدول الأخرى مثل مشروع نقل الغاز التركماني عبر أفغانستان إلى باكستان والهند[22].

(22) شرين محمد فهمي، الاقلية اليهودية في اذربيجان: حدود الدور وتأثيراته على العلاقات الاذربيجانية الاسرائيلية، مجلة قضايا اسيوية، العدد الثاني، المركز الديمقراطي العربي، برلين 2019، ص5

ورغم كل هذه الدوافع الاقتصادية للتحرك الصيني نحو منطقة اسيا الوسطى، الا ان الجوانب السياسية والأمنية لهذا التحرك لا يمكن إغفالها، فعلى الصعيد الأمني استطاعت الصين أن تقنع دول اسيا الوسطى لممارسة ضغط على ناشطي المعارضة الإيغورية الاسلامية الذين يكافحون من أجل حريات أكثر في إقليم

شينغ يانغ (تركستان الشرقية) التي تنشط في اسيا الوسطى، مما أثار غضب الكثير من المؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان[23]، كما أن التغلغل الاقتصادي الصيني ساعد على تحجيم نفوذ الولايات المتحدة الامريكية في منطقة اسيا الوسطى، وتمثل في[24]:

1 - إغلاق القاعدة الأمريكية في أوزبكستان عام 2006.

2 - مراجعة عقد إيجار القاعدة الأمريكية في قيرغيزستان.

3 - الدعوة الرسمية لمنظمة شنغهاي في 2006 لإغلاق القواعد الأمريكية في اسيا الوسطى.

ومن جهتها نجحت منظمة شنغهاي في استقطاب دول اسيا الوسطى بشكل كبير ضد التوجهات الغربية التي تسعى لفرض أجندتها على الأنظمة التي لا تريد الخضوع لضغوط الغرب فيما يتعلق بملفات حقوق الإنسان والديمقراطية، فكثيرا ما يعلن زعماء جمهوريات اسيا الوسطى تصريحاتهم ضد الانتقادات الغربية والأمريكية من العاصمة الصينية بكين.

ثالثا- الولايات المتحدة الامريكية: نشطت الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1990 في المنطقة وحاولت التقرب من جمهوريات اسيا الوسطى المستقلة من الاتحاد السوفيتي، وسعت إلى توطيد علاقاتها السياسية والاقتصادية معها، والعمل على إرساء أنظمة حكم صديقة لها في هذه الجمهوريات لتأمين مصالحها النفطية في المنطقة ومحاولة السيطرة على امدادات الطاقة عبر توجيه مسارات خطوط نقلها. ومع وقوع أحداث 11 ايلول عام 2001، وبدء الحملة الأمريكية ضد ما يسمى بالإرهاب بدأت الولايات المتحدة الامريكية في تدعيم وجودها العسكري في المنطقة، وقامت بتوقيع عدد من الاتفاقيات لإقامة قواعد عسكرية في بعض الجمهوريات، ومنها قيرغيزستان، وأوزبكستان، لاستخدامها في حربها ضد طالبان والقاعدة في أفغانستان، ولتدعيم النفوذ والحضور الأمريكي في المنطقة، بما يتيح إقامة العديد من مشاريع النفط والغاز التي تؤمن الاحتياجات الأمريكية من الطاقة من جهة، ومحاصرة الصين ومنع تدفق مصادر الطاقة نحوها من جهً اخرى، وقد حظي خط أنابيب (باكوــ جيهان) باهتمام بالغ من الولايات المتحدة التي عدته طوق النجاة للهروب من الاعتماد الغربي المطلق على النفط الخليجي، وإنهاء السيطرة الروسية الطويلة على إمدادات النفط القادم من بحر قزوين، وبالتالي إضعاف نفوذها الاقتصادي والسياسي، ولهذا مارست العديد من

(23) إبراهيم عرفات، آسيا الوسطى التنافس الدولي في منطقة مغلقة، مجلة السياسة الدولية، العدد 167، كانون الثاني 2007، ص 125

(24) محمد فايز فرحات، ممر الشمال الجنوبي والمراهنات الايرانية، مجلة قضيا ايرانية، ملفات اقليمية، العدد5، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، 2018، ص21

الضغوط على الدول والشركات المساهمة للإسراع في تنفيذ الأنبوب[25].

(25) قاسم دحمان، مصدر سبق ذكره، ص 132

وتتمثل مصالح الولايات المتحدة الامريكية في اسيا الوسطى انطلاقاً من عدة نقاط أهمها[26]:

(26) حميد شهاب احمد، مصدر سبق ذكره، ص 18

1 - منع روسيا من بسط نفوذها في تلك المناطق، إذ تمثل روسيا احدى اولويات اهتمام سياسة الولايات المتحدة الامريكية نظراً لكون روسيا تمتلك قدرات عسكرية وبشرية واقتصادية كبيرة.

2 - لدى الولايات المتحدة الأمريكية مصالحها الاقتصادية الخاصة، لا سيما في كازاخستان وتركمانستان بسبب مخزونهما الكبير من النفط والغاز.

3 - تهيئة كافة الاطراف المعنية للتعامل معها بواقع جديد يغلب عليه عنصر المساومة الذي سينتج عنه تحالفات جديدة، وانقلاب كافة الموازين والحسابات السائدة، وسيكون من نتائجه اتساع نفوذ الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة.

لقد وفرت أحداث الحادي عشر من ايلول للإدارة الأمريكية حافزا إضافيا لتشديد قبضتها على المناطق النفطية في العالم وبشكل خاص في المناطق الرخوة التي تمثل منطقة اسيا الوسطى المثالية لها، إذ لا زالت حديثة الاستقلال من الاتحاد السوفيتي وتعاني من اضطرابات امنية وضعف اقتصادي وخلو ساحتها من الدول المنافسة وابرزها روسيا التي تعاني هي الاخرى من مشاكل اقتصادية كبيرة، وترى الإدارة الأمريكية أن خريطة ما يطلق عليه «ملاذات الإرهاب» أو ما تطلق عليه «الدول المارقة» قد تكون هي نفسها خريطة موارد الطاقة الرئيسية في العالم، وقد تم تصنيف أفغانستان، بأنها في غاية الأهمية، ففي أراضيها تمر الخطوط المحتملة لصادرات النفط والغاز من اسيا الوسطى إلى البحر العربي، وأقامت وزارة الدفاع الأمريكية علاقات مع القوات المسلحة في كل من أذربيجان وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان، وبدأت في تأمين السلاح والتدريب لتلك القوات، كما تمتلك الولايات المتحدة قاعدة جوية «ماناس» في قيرغيزستان تقع شمال العاصمة بشكيك، حيث تضم هذه القاعدة أكثر من ألف جندي أمريكي، أما القاعدة الثانية فهي قاعدة «خان آباد» الجوية في أوزبكستان، وفضلاً عن ذلك فإن الولايات المتحدة ترتبط بالعديد من الاتفاقيات مع هذه البلدان، نتج عنها استخدام مجالها الجوي والهبوط الاضطراري للتزود بالوقود،

وفرت أحداث الحادي عشر من ايلول للإدارة الأمريكية حافزا إضافيا لتشديد قبضتها على المناطق النفطية في العالم

اضافةً الى ذلك محاصرة إيران من الشمال والشرق، تمهيداً لإخضاعها للسيطرة الأمريكية ومنع تسرب التكنولوجيا والمواد والخبرات النووية اليها، وكذلك تكنولوجيا الصواريخ وغيرها من الأسلحة التقليدية أو فوق التقليدية المتطورة الموروثة عن العهد السوفيتي من دول اسيا الوسطى، وخاصة كازاخستان وأوزبكستان إلى الدول التي تعدها مارقة مثل إيران. وتعتمد الولايات المتحدة سياسة القوى الناعمة من خلال الدبلوماسية والمساعدات ودعم التوجهات الإصلاحية في تلك الدول[27].

رابعاً- الاتحاد الاوربي: تسارعت وتيرة التسابق بين الاتحاد الأوربي وروسيا للسّيطرة على مصادر الطّاقة خاصّة في الدول المجاورة لروسيا، الأمر الذي شكل مصدراً لتنامي قلق روسي، وتعد تركمانستان من بين الدول التي يتهافت الاتحاد الأوربي وروسيا للسيطرة على مصادر الطاقة فيها، الأمر الذي أثار امتعاض روسيا التي تتحكم في خطوط نقل نفط وغاز جمهوريات اسيا الوسطى بحكم مرور خطوط الأنابيب القادمة من هذه الجمهوريات عبر الأراضي الروسية إلى أوربا، الأمر الذي يجعل في استطاعة روسيا فرض شروطها وأسعارها والتحكم في مسار هذه الخطوط وما تحتويه، ولهذا شرع الأوربيون منذ استقلال تلك الدول من الاتحاد السوفيتي في التقرب لهذه الجمهوريات، وبشكل خاص جمهوريات اسيا الوسطى وبحر قزوين «كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان» التي تمتلك احتياطات هائلة من النفط والغاز بهدف إقناعها بتحويل نقل إنتاجها عبر خطوط جديدة لا تمر عبر الأراضي الروسية، وذلك بدعوى ان روسيا تستورد منهم مواد أولية بأسعار منخفضة لتعيد بيعها مرة أخرى بأسعار مرتفعة في أوربا، فضلا عن ذلك الاتفاقية التي وقعتها كبريات الشركات الاوربية في مجال الطاقة مع تركمانستان في 2008، التي تتعهد بموجبها بتزويد أوربا بإمدادات الغاز الطبيعي وذلك عبر خط أنابيب نابوكو، الذي من المفترض أن يمر من اسيا الوسطي عبر بحر قزوين وجنوب القوقاز وصولاً إلى تركيا، وقد اتهمت روسيا الأوربيين بالسعي إلى توسيع نطاق نفوذهم على الدول المجاورة لها التي تعده المجال الحيوي لها، وعلى صعيد آخر يرى مراقبون أن الثمن الذي دفعه الاتّحاد الأوربي للتخلص من تبعيتها لروسيا في مجال امدادات الغاز الطبيعي يعد باهظا في حساباتهم، إذ تعاونت مع بلدان تعاني من تجاوزات شديدة فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الانسان مشيرين إلى الاتفاقيات التي أبرمتها مع دول أذربيجان وتركمانستان، ويحظى مشروع نابوكو بأهمية كبيرة لدى الاتحاد الأوربي[28].

تعد تركمانستان من بين الدول التي يتهافت الاتحاد الأوربي وروسيا للسيطرة على مصادر الطاقة فيها

(27) وهو شبكة متعددة الانماط من الطرق التجارية الدولية البحرية والبرية والسكك الحديدية التي تربط بين اقاليم الجنوب الاسيوي وغربها واسيا الوسطى والقوقاز وروسيا وصولا الى شمال اوربا، وللمزيد من المعلومات ينظر: محمد فايز فرحات، ممر الشمال الجنوبي والمراهنات الايرانية، مجلة قضيا ايرانية، ملفات اقليمية، العدد5، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، 2018، ص6

(28) جعفر بهلول الحسيناوي، اميركا بين القطبية الصلبة والتحديات، مصدر سبق ذكره، ص 176

اتهمت روسيا الأوربيين بالسعي إلى توسيع نطاق نفوذهم على الدول المجاورة لها

أن مشروع نابكو لنقل الغاز الآسيوي والشرق أوسطى عبر تركيا هو المشروع الرئيس في هذه المنظومة لتخفيض الاعتماد على الغاز الروسي. ويهدف المشروع إلى نقل الغاز الطبيعي من اسيا الوسطى إلى بلدان الاتحاد الأوربي دون المرور بروسيا. وسيصبح هذا الخط منافسا لخط أنابيب الغاز«السيل الجنوبي» الذي يربط روسيا بإيطاليا. ويعد مشروع TAP الذي يشمل مد خط أنابيب غاز أقصر وأرخص من خلال تركيا، اليونان، ألبانيا والبحر الأدرياتيكي إلى جنوب إيطاليا، ومن ثم في أوربا الغربية، منافسا لمشروع نابوكو، وقد اختارت أذربيجان مشروع خط أنابيب «TAP» لنقل الغاز الذي يتم إنتاجه من حقل شاه دينيز2 ببحر قزوين إلي أسواق أوربا على حساب المشروع المنافس نابوكو المدعوم من الاتحاد الأوربي[29].

(29) عبد القادر دندن، مصدر سبق ذكره، ص9

خامساً- اسرائيل: اهتمت إسرائيل منذ وقت مبكر (على الرغم انها ليست من الدول الكبرى) باختراق دول اسيا الوسطى بأكملها، وكانت لديها استراتيجية متكاملة معدة لذلك، اعتمدت في المرحلة الأولى على التركيز على التغلغل الاقتصادي من خلال الاقلية اليهودية فيها ورجال الأعمال اليهود من شتى الجنسيات من جهة[30]، وتقديم إسرائيل نفسها كوسيط نشيط لجذب رؤوس الأموال الغربية من جهة أخرى، كما تم افتتاح فرع للوكالة اليهودية (سحتوت) في العاصمة الأوزبكية طشقند لتنظيم هجرة اليهود الأوزبك إلى إسرائيل، وافتتاح مركز ثقافي في طشقند يعمل بنشاط على الترويج للثقافة والأفكار الصهيونية بين اليهود وغيرهم من مواطني أوزبكستان، فضلاً عن تعليم اللغة العبرية. وهكذا كانت إسرائيل تحقق تغلغلا سياسيا واقتصاديا وثقافيا متزايد الاتساع والعمق في أوزبكستان طوال التسعينيات من القرن الماضي، ووضع أساساً قوياً لقيام تعاون أمني واسع النطاق[31].

(30) حنان ابو سكين، مصدر سبق ذكره.

(31) المصدر نفسه

ومما تقدم لم يكن أمام دول اسيا الوسطى سوى الترحيب بالتنافس الدولي ما دام سيفك عنها حبسها المزدوج السياسي لروسيا والجغرافي للطبيعة تستطيع من خلالها تصدير ثرواتها، للحصول على عوائد تدعم استقلالها، وهذا التنافس مرشح للتزايد كما ونوعاً ويتفاقم ذلك في ظل العولمة بما تتضمنه من انفتاح وحرية حركة عبر الحدود مما يؤدي إلى زيادة التهديدات والتحديات الأمنية، مع غياب واضح للتحرك العربي اتجاه منطقة اسيا الوسطى رغم وجود مشتركات تاريخية وثقافية فضلا عن أن اغلب سكانها من المسلمين.

المحور الرابع- التنافس الدولي في آسيا الوسطى على مستوى القوى الإقليمية:

اولا- ايران: تتميز إيران بموقع جيو بوليتيكي مهم على المستوى الاقليمي، إذ تصل حدودها الشمالية إلى بحر قزوين، وتشكل أفضل معبر للنفط إلى الخليج العربي جنوباً.

ركزت ايران على توسيع حالة التكامل بينها وبين دول اسيا الوسطى

ركزت ايران على توسيع حالة التكامل بينها وبين دول اسيا الوسطى من خلال ازالة الحواجز المادية امام التجارة ورفع الحواجز المادية امامها واقامة مشاريع الطرق التجارية البرية والبحرية وتضمينها مكونات اخرى كنقل الطاقة واقامة مناطق للتجارة الحرة وكان ابرز هذه الطرق مبادرة (الحزام والطريق) الذي طرحته الصين عام 2013 وسبقه مشروع (ممر الشمال- الجنوب) عام 2000 الذي طرح من جانب روسيا والهند وايران.[32]

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وظهور ثلاث دول اسيوية مستقلة من الاتحاد السوفيتي تشارك ايران في تشاطئ بحر قزوين وتطالب بمياهها الإقليمية فيه، وهي (أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان)، وفي ضوء عدم استغلال نفط بحر قزوين خلال عهد الاتحاد السوفيتي، إذ اقتصرت المنافع الإيرانية من البحر على الصيد وثروة الكافيار التي درّت على إيران أرباحاً كبيرةَ، وتغيرت الاوضاع مع استغلال الثروة النفطية في المنطقة، إذ تصاعدت الأهمية الاستراتيجية لها، مما حرك التطلعات الإيرانية للقيام بدور رئيس فيها، وبخاصة أن إيران تمتلك منشأة نفطية متقدمة نسبياً، فالتطلعات الاستراتيجية الإيرانية الحالية تتركز في أن تصبح هي الناقل الرئيس لنفط بحر قزوين، عبر أراضيها إلى الخليج العربي، وانطلقت ايران من تصور استراتيجي أنها باتت القوة الطبيعية المرشحة للعب دور قيادي في منطقة آسيا الوسطى، استناداً للاعتبارات الاتية:[33]

1 - من الناحية الجغرافية تجاور تركمانستان وأذربيجان، كما تعد ايران المنفذ البري الطبيعي لكلتا الدولتين إلى منطقة الشرق الاوسط والخليج العربي.
2 - لها صلات ثقافية وحضارية مع طاجكستان فضلا عن نسبة 85% من الشعب الاذري هم من الطائفة الشيعية.
3 - يتحدث شعب طاجيكستان اللغة الفارسية.

وقد حرصت إيران على صياغة منهج براجماتي تدريجي يدور حول عدم التركيز

(32) أدخلت تركيا روسيا شريكا في مشروع خط أنابيب نابوكو لتزويده بالغاز، وهو مشروع يهدف إلى نقل الغاز الطبيعي عبر بحر قزوين من تركمانستان صاحبة رابع أكبر احتياطي للغاز في العالم إلى أذربيجان ومنها إلى خط أنابيب نابوكو، الذي سيصل بدوره إلى وسط أوربا بعد أن كان هذا المشروع قد صمم في الأساس لتجاوز روسيا وعزلها وفق الاستراتيجية الغربية، وللمزيد ينظر، سيرغي بوخين، مصدر سبق ذكره.

(33) رحمن عبد الحسين طاهر، اثر المتغير الامريكي في التوجه التركي ايراني نحو جمهوريات آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة، مجلة مدارات ايرانية، العدد الاول، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2018، ص 355.

على تصدير النموذج الثوري الإسلامي الإيراني، وعمدت إلى تقديم نموذج قومي فارسي يتسم بالطبيعة العملية، فلم تسع ايران إلى نشر فكرة الثورة الإيرانية في اسيا الوسطى، نظرا للتباين المذهبي من ناحية، ولإدراكها أن النخب الحاكمة في تلك الدول قد تشربت القيم العلمانية عندما كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتي بما يجعلها أكثر ميلا إلى عدم تقبل الفكر الثوري الاسلامي الإيراني من ناحية أخرى، وعلى الجانب الاقتصادي، كانت الدوافع الاقتصادية إحدى أوجه تقارب إيران من جمهوريات اسيا الوسطى، ويتضح ذلك من خلال زيادة حجم التبادل التجاري بين إيران وهذه الدول، كما ركزت ايران في هذا المجال على حزمة من السياسات المتمثلة في تقديم الائتمان لتنشيط التجارة مع تلك الدول، وعمدت إلى الاعتماد على حزمة من السياسات التي صممت ليس فقط لتطوير وجودها الاقتصادي في اسيا الوسطى فحسب، ولكن أيضا لحرمان منافسيها من أي فرص للنجاح في المنطقة، وذلك من خلال بناء شبكة مواصلات برية بين إيران واسيا الوسطى، بحيث يمر التعامل التجاري مع المنطقة بالضرورة عبر البوابة الإيرانية وهذا جزء من استراتيجية ايران لتكون لاعباً اساسياً في مشروع الحزام والطريق الاستراتيجي. فقد بدا جليا استعداد إيران للشراكة الفعالة والمؤثرة مع هذه الدول عبر الدخول في تكتلات إقليمية ودولية، من أهمها: «منظمة الدول المطلة على بحر قزوين» (تضم: إيران، أذربيجان، روسيا، تركمانستان، كازاخستان)، و«منظمة التعاون الاقتصادي» (تضم: إيران، أذربيجان، كازاخستان، طاجيكستان، تركمانستان، قيرغيزستان، أوزبكستان، باكستان، تركيا)، ومنظمة شنغهاي (تضم: الصين، روسيا، كازاخستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، أوزباكستان، الهند، باكستان)، التي تشترك إيران حاليا فيها بصفة مراقب[34]. ونجحت إيران في تصدير الغاز التركماني إلى تركيا وأوربا عبر إيران بأقصر الطرق وأفضلها وأقلها تكلفة، مع وجود معارضة شديدة من جانب الولايات المتحدة الامريكية، التي تبذل قصارى جهدها للحيلولة دون سيطرة روسيا أو إيران على مصادر الطاقة في هذه الدول، وذلك عبر بناء خطوط أنابيب تتفادى المرور عبر هذه الدول، حتى وإن كانت بتكلفة أعلى أو تواجهها مخاطر أمنية عديدة.

بدا جليا استعداد إيران للشراكة الفعالة والمؤثرة مع هذه الدول عبر الدخول في تكتلات إقليمية ودولية

(34) المصدر نفسه، ص 357.

كما اهتمت إيران بالتوسع الاقتصادي والتجاري مع دول اسيا الوسطى للخروج من العزلة الدولية التي فرضتها الولايات المتحدة عليها سواء بالعلاقات الثنائية مع كل دولة على حدة أو بالتحالفات الإقليمية، وتحظي كل من تركمانستان وطاجيكستان

باهتمام إيراني كبير نظرا للحدود المشتركة مع تركمانستان واللغة والثقافة المشتركة مع طاجيكستان.

ثانيا- تركيا: تسعى تركيا للترويج للنموذج الغربي القائم على الإسلام العلماني الذي تتبناه في دولة غالبيتها العظمى من المسلمين، فضلا عن تبنيها نظام الاقتصاد الحر والديمقراطية، ويواجه التحرك التركي اعتراضاً من روسيا، وتحاول تركيا تبرير ذلك من خلال توظيفها للنموذج العلماني في مواجهة الاصولية الدينية التي تخشى منها روسيا، ويهدف النشاط الاقليمي التركي نحو اسيا الوسطى باعتبار أن نجاح تركيا في هذا المسعى سيمثل لها انتصاراً معنوياً يعوض عن فشلها منذ فترة طويلة للدخول الى الاتحاد الاوروبي، فضلاً عن أهميته لانعاش اقتصادها المتدهور.

غيرت تركيا من سياستها اتجاه اسيا الوسطى بعد استلام حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكم عام 2002، فقد اتبعت سياسة التعاون والشراكة كبديل عن الصراع والتنافس على المصالح وطرحت نفسها كنموذج للأمن والاستقرار، وقد مثل التقارب الثقافي كون خمسة دول من دول اسيا الوسطى والقوقاز ذات اصول تركية مما منحها فرصة كبيرة لبناء علاقات متميزة مع هذه الدول، وقد غضت روسيا الطرف عن النشاط التركي في منطقة اسيا الوسطى والقوقاز، وهما المنطقتان اللتان تعتبرهما مناطق نفوذ تاريخية بالنسبة لها[35]، وذلك لأن روسيا أرادت أن تستعمل تركيا في محاربة التيار الإسلامي المتشدد الذي بدأ يزداد قوة وانتشارا في تلك البلدان عقب تفكك الاتحاد السوفيتي.

(35) رحمن عبد الحسين طاهر، مصدر سبق ذكره، ص 353.

الخاتمــة:

تمثل منطقة اسيا الوسطى بجمهورياتها الخمس منطقة نزاع دولي واقليمي بامتياز لما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم، فهي تقع في قلب الارض حسب نظرية ماكندر وهذا ما دفع بالقوى الدولية الكبرى للتغلغل والسيطرة عليها، وبشكل خاص الولايات المتحدة الامريكية بدافع تعزيز الهيمنة ودوام نظام القطبية الاحادية والسيطرة على اسيا ككل وتحجيم القوى الكبرى في المنطقة مثل الصين وروسيا، فيما تحاول كل من الصين وروسيا قطع الطريق على الولايات المتحدة الامريكية واضعاف تواجدها في المنطقة واسيا ككل والعمل على توازن القوى الكبرى من خلال نبذ الاحادية القطبية وجعل العالم متعدد الاقطاب.

وبالنظر لموقعها الجغرافي الحبيس فقد جعلها محط انظار القوى الاقليمية ايضاً، فقد مثلت منطقة اسيا الوسطى بالنسبة الى روسيا المنطقة التي من خلالها اعادة

مكانتها الدولية واعطائها دوراً ريادياً اكبر على المستوى الدولي. اما الصين فتعتبرها المنطقة الهشة التي يمكن ان تشكل لها تهديداً حقيقيا على امنها القومي خصوصاً انها تمثل القسم الغربي من منطقة تركستان والجزء الشرقي لهذه المنطقة ضمن الاراضي الصينية فضلاً عن ذلك التركيبة السكانية هي نفسها اضافة الى ذلك الديانة الاسلامية التي تمثل ديانة الاقلية الايغوارية في غرب الصين وهي ديانة اغلبية سكان اسيا الوسطى، فضلا عن ذلك اهمية منطقة اسيا الوسطى كسوق امام البضائع الصينية كما تشكل اهمية كبرى في مشروع الصين الجديد في احياء طريق الحرير التاريخي (مبادرة الحزام والطريق). كما تسعى كل من ايران وتركيا الى الاستحواذ على تلك المنطقة مستغلة التقارب الثقافي والعرقي فيها إذ تسعى تركيا لتعويض فشل مشروعها في الانضمام الى الاتحاد الاوربي كما تسعى ايران للتخفيف من حدة الضغط الامريكي الاوربي على اقتصادها فضلاً عن ذلك تسعى الى ان تكون في قلب مبادرة الحزام والطريق الصينية، ومن كل ما تقدم فان منطقة اسيا الوسطى تشكل اهمية استراتيجية كبرى في حسابات الدول الكبرى والاقليمية على حداً سواء.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

أولا- الكتب:

1 - جعفر بهلول الحسيناوي، اميركا بين القطبية الصلبة والتحديات، مطبعة السيماء، بغداد 2019.

2 - قاسم دحمان، السياسة الخارجية الروسية في اسيا الوسطى والقوقاز، أي- كتاب، لندن، 2016.

3 - كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الاستراتيجية. جامعة بغداد- كلية العلوم السياسية، بغداد 1988.

ثانيا- البحوث:

1 - إبراهيم عرفات، آسيا الوسطى التنافس الدولي في منطقة مغلقة، مجلة السياسة الدولية، العدد 167، كانون الثاني 2007.

2 - حميد حمد السعدون، نظرية ماكندر قراءة جديدة في ظل الهيمنة الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد 28، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2005.

3 - حميد شهاب احمد، التنافس الاقليمي والدولي في منطقة الجمهوريات الاسلامية لأسيا الوسطى، مجلة دراسات دولية، العدد 28، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، 2005.

4 - رحمن عبد الحسين طاهر، اثر المتغير الامريكي في التوجه التركي ايراني نحو جمهوريات آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة، مجلة مدارات ايرانية، العدد الاول، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2018.

5 - شرين محمد فهمي، الاقلية اليهودية في اذربيجان: حدود الدور وتأثيراته على العلاقات الاذربيجانية الاسرائيلية، مجلة قضايا اسيوية، العدد الثاني، المركز الديمقراطي العربي، برلين 2019.

6 - عبد القادر دندن، حرب الانابيب في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، الصراع الروسي- الصيني- الامريكي، مجلة قضايا آسيوية، العدد الثالث، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2020.

7 - محمد شاكر، العلاقات الايرانية- الطاجيكية اشكالية البيئة الداخلية والخارجية، مجلة قضيا ايرانية، ملفات اقليمية، العدد5، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، 2018.

8 - محمد فايز فرحات، ممر الشمال الجنوبي والمراهنات الايرانية، مجلة قضيا ايرانية، ملفات اقليمية، العدد5، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، 2018.

ثالثاً- الأطاريح والرسائل الجامعية:

1 - وهيبة ايمان عبد الله، استراتيجية روسيا في السيطرة على اسيا الوسطى ومستقبل رابطة الدول المستقلة – CIS -، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2018.

رابعاً- شبكة المعلومات الدولية:

1 - حنان ابو سكين، بين الصراع والتعاون: التنافس الدولي في اسيا الوسطى، المركز العربي للدراسات والبحوث، 2014، http://www.acrseg.org/

2 - ريا خوري، اسيا الوسطى في صراع القوى العظمى، 2016، على الرابط الالكتروني، https://www.geopolitica.ru/ar/article/asy-lwst-fy-sr-lqw-lzm

3 - محرم أكشي، تركيا في آسيا الوسطى والقوقاز تأمين لجسور الطاقة، 6 اب 2009، على الرابط، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DE6D722D-8175-48D6-A72F-0477CB0A2C6A.htm